SIATS Journals

Journal of Arabic Language Specialized Research (JALSR)

Journal home page: http://www.siats.co.uk

e-ISSN: 2289-8468

مجلة اللغة العربية للبحوث التخصصية

المجلد 4، العدد 1، 2018

e–ISSN: 2289–8468

THE PARADOX IN THE "VILLAGE VILLAGE" OF MOHAMED NILE OBAIDAT

المفارقة في "تغريبة قرية "لمحمد نايل عبيدات

د. خولة شخاترة – قسم اللغة العربية وآدابها

kawla.shakhatreh@yahoo.com

كلية الآداب واللغات – جامعة جدارا

المملكة الأردنية الهاشمية

ARTICLE INFO
Article history:
Received 4/10/2017
Received in revised form 25/10/2017
Accepted 18/12/2017
Available online 15/1/2018
Keywords: *Alienation of a village, Alghertbaleh, Year of Collar, the year of the events, freedom, demonstrations, spies.*

Abstract

This paper examines the paradox in the novel of "Alienation of a Village" by Mohammed Nayel Obeidat which takes place in the northern village of Kufarsoom in Jordan, and the ordeal in which its people were living in the wake of burning Alghertbaleh, which was erected by the United States in some Jordanian villages to sift wheat by modern machines , as a protest against the "Baghdad Pact", and years later, the village was punished after claiming the unity with Egypt and Syria as a result for the national expansion in 1960s. This paper has dealt with a specific feature in the novel, paradox, so I started by introducing the novel, then I moved to provide various definitions of the novel, and I mentioned some cases of paradox in the novel. The paper concluded that the novel is based on paradox, and it proficiently and consciously employed it, since the importance of this Employment in the construction of the novel, and in delivering a message intended by the author, so he found what he was looking for in the paradox which extracted much more from what victims' people hid.

ملخص

تدرس هذه الورقة المفارقة في رواية" تغريبة قرية" لمحمد نايل عبيدات التي تدور أحداثها في قرية كفرسوم شمال الأردن، وما حل بها وبأهلها من محنة، على إثر حرق الغربالة التي بنتها أمريكا في بعض القرى الأردنية؛ احتجاجا على حلف بغداد، وبعدها بسنوات عوقبت القرية مرة أخرى، بعد المطالبة بالوحدة مع مصر وسوريا تأثرا بالمد القومي في الستينيات. لقد تناولت هذه الورقة جانبا محددا في الرواية وهي المفارقة فيها. فتوقفت عند التعريف بالرواية، ثم انتقلت إلى تقديم التعريفات المختلفة للمفارقة، وأشارت إلى نماذج من المفارقة في الرواية. وقد توصلت الورقة إلى أن الرواية بنيت على

المفارقة ووظفتها باقتدار، عن وعي، لما لهذا التوظيف من أهمية في بنائها، وفي إيصال رسالة أرادها الكاتب؛ لإدانة ما حدث، وإدانة ما يحدث الآن،وتثبيت هذه الأحداث في أذهان الناشئة والجيل الجديد، فوجد ضالتها في المفارقة التي أظهرت الكثير مما أخفاه الناس الضحايا.

الكلمات المفتاحية :- غريبة قرية، الغربالة، سنة الطوق، سنة الأحداث، الحرية، المظاهرات، الجواسيس.

تمهيد

تدور رواية" تغريبة قرية" لمحمد نايل عبيدات -التي صدرت عن دار ورد الأردنية عام 2010- حول محنة قرية كفرسوم شمال الأردن،التي تمثلت بما عرف آنذاك ب"سنة الطوق "[1]و"سنة الأحداث"[2].

2-1 سنة الطوق

كانت هذه السنة عقابا للقرية التي خرجت تنشد الحرية ذات يوم، وكانت تملك وعيا سياسيا مبكرا، فأغلب سكان القرية ينتمون إلى حزب إما إسلامي، وإما قومي[3]. وربما تجتمع انتماءات حزبية كثيرة داخل البيت الواحد، أو أفراد العائلة الواحدة فتجد الأخ قومي والأب إسلامي، وهكذا. فكانت سنة الطوق - وهو طوق بشري من العسكر أحاط بالقرية، وهو مصطلح جديد دخل عقول أبناء القرية خاصة الأطفال منهم - عقابا للقرية بسبب رفضها لحلف بغداد فكانت مظاهراتها اليومية تجوب القرية تندد بالحلف، والنقطة الرابعة، وفي بعض الأحيان كان المتظاهرون يغادرون القرية، وينضمون إلى المظاهرات في المدن.

ثم توج هذا الرفض بحرق الغربالة[4] التي أقامها الأمريكان بقرية سمرالأردنية المحاذية إلى قرية كفرسوم، وكانت الغربالة تمثل رمزا لمصالح أمريكا بالأردن،وقد شاركهم بالحرق[5] أبناء القرى الأخرى، لكنهم دفعوا الثمن وحدهم، ودفعوا الدية لأمريكا[6].

---

(1) -محمد نايل عبيدات، تغريبة قرية، دار ورد، عمان :الأردن،2010،ص16.
(2) - المصدر نفسه ، ص58
(3) - المصدر نفسه ، ص11.
(4) - المصدر نفسه ، ص24،12.
(5)
(6) - المصدر نفسه ، ص24.

فألقى القبض على كل رجل دون مراعاة لصغير أو كبير طالما أنه تجاوز الخامسة عشرة من العمر.فمن حالفه الحظ هرب خارج الأردن كما فعل عبدا لله الذي استقبل العسكر وهم له منكرون ثم تسلل هاربا[7]،أو اختبأ يتحين فرصة الهرب مثل عدنان ؛إذ نجحت والدة عبدالله بتهيئة مخبأ له في بيتها الذي تحول إلى مقر للعسكر. فقسم البيت قسمين شبيها بتقسم ألمانيا إلى دولتين شرقية وغربية: واحد لأهل البيت وآخر للعسكر والأوسط فيه عدنان[8].مع الإشارة إلى أن عدنان كان يخالف عبدالله بالانتماء الحزبي. أما من بقي فيها من الرجال فقد جمعوا في المدرسة وحولت إلى معتقل يسام فيها الرجال شتى أنواع العذاب، وألوان من الإهانة ؛ يبيتون على أرض إسمنتية في فصل الشتاء البارد بلا تدفئة،ولا أغطية، إلا بقية من ملابس تمزقت إثر الاعتقال والتعذيب[9].وحين أعلن الحاكم العسكري افتتاح العام الدراسي، وليس مفتش المعارف استغرب الصغار وتساءلوا عن السر، ولم يسألوا كبارا فلم يكن هناك كبار[10].

3-1 سنة الأحداث

سنة الأحداث[11] فكانت عقابا للقرية بعد أن دعت أحزابها إلى الانضمام لدولة الوحدة —سوريا ومصر- وهو مطلب كثير من الأحزاب القومية في الأردن، ولو أدى هذا الأمر إلى المواجهة المسلحة مع السلطة، فتدخل الجيش واحتل القرية، فهو احتلال من وجهة نظر أهل القرية؛ إذ حولت المدرسة إلى معتقل مؤقتا مرة أخرى[12].وكأن قدرمدرسة القرية أن تجهض كل محاولة لممارسة دورها الحقيقي بتقديم المعرفة، والعلم إلى أبنائها أو تنويرهم. وبعد انسحاب الجيش صارت المدرسة إسطبلا لخيول الفرسان.

لعله من المفيد الإشارة إلى بعض الآثار المدمرة على القرية وأهلها. فقد صودرت أراضي البعض، ومنع البعض الآخر من الذهاب إليها، أما ما تبقى منها فلم يتمكنوا من زراعتها، أما من زرع قبل هذه الأحداث لم يتمكن من جمع محصوله، كما صودرت ثروتهم الحيوانية، أما ما سلم منها فقد كان طعاما للفرسان، كما منع الناس من إيقاد النار للتدفئة[13]، أو صنع الخبز كأنهم آل جساس، مع أنهم لم يغدروا كما غدر جساس. فتذكر الرواية مثلا أن والد عدنان

---

(7) - المصدر نفسه ، ص15.
(8)- المصدر نفسه ، ص20-21.
(9) - المصدر نفسه ،.ص18،19.
(10) - المصدر نفسه ، ص22.
(11) - المصدر نفسه ، ص87.
(12) - المصدر نفسه ،ص42.
(13) - المصدر نفسه، ص40،15.

والد المطلوب الأول للدولة ومفلح كانا يملكان ثلث بيادر القرية فصار إنتاجهما لا يكفيهما؛ لأنهما انحدرا درجة في نظام الحراثة. فقد كانا يحرثان على الثيران لكن مصادرة الثيران دفعهما إلى الاعتماد على الحمير.

2-1 تغريبة قرية والذاكرة الشعبية

تغريبة قرية تروي حكاية أغلب القرى الأردنية، وبعض مدنها في ذلك الوقت،لا بل تروي حكاية الكثير من المدن العربية التي ابتليت بالاستعمار كما ورد في مفتتح الرواية، وفي هذا ربما إجابة عن تساؤل المتلقي لم اختار المؤلف عدم ذكر اسم القرية وهي قريته ؟ مع أن هذه الأحداث من الأهمية بمكان أنها غيرت وجه القرية، ومستقبلها لا بل غيرت مستقبل الأردن. فهي سنوات الجمر والرصاص الخاص بالأردن، مع أن المصطلح يطلق على الفترة بين ستينات وثمانيناتالقرن الماضي في المغرب.

وعلى الرغم من أهمية هذه الأحداث إلا أنها بقيت مغيبة، لا تأتي على ذكرها كتب التاريخ الرسمي؛ إذ تم تهميشها وتغييبها، وبقيت طي النسيان إلا في الذاكرة الشعبية. وقد تسربت هذه الأحداث إلى الأغاني الشعبية التي عبرت عنها خير تعبير.

وأصبح علينا الطوق من كل لركان

ولطوقونا جنود وفرسان

ملوا الأراضي وسهلها مع الوديان

وفاضوا علينا تقول نهر الفرات

واستحلون الجيش كل العماير

صادرون القمحات ومن الكواير

رز ولحم وخرفان والسمن ياسر

والبن والسكر خذونه شوالات[14].

[14] - المصدر نفسه، ص26.

فكما يروي الأدب ما غفل عنه التاريخ أو تغافل عنه بوعي، أو دون وعي، فإن هذه الأحداث وجدت مستقرا لها في الأغاني الشعبية إلى أن جدت طريقها لهذه الرواية.

2-2 ملامح القرية الأردنية في الرواية

تغريبة قرية ترسم لنا صورة القرية الأردنية بكل تفصيلاتها في تلك المرحلة، فيما يشبه التوثيق الدقيق لملامح القرية الأردنية في تلك الفترة، وتشابك علاقتها الاجتماعية، والاقتصادية، والإنسانية. فالمواسم الزراعية مثلا حاضرة في الرواية مثل موسم حصاد القمح، وقطاف الذرة والسمسم، والطقوس المتعلقة بكل موسم. مثلا يتوقف مطولا عند قطاف الذرة التي " تتم بعد العصر، وبمنجل ذي عصا طويلة بعكس منجل القمح ذي العصا القصيرة، والتي تشكل مقبضا فقط، ويلبس قاطف الذرة لباسا خاصا من الخيش له جراب كبير كجراب الكنغر الذي يضع ولده فيه، وتقطف عرانيس الذرة وتوضع في الجراب لتكوم في الحقل، ثم تنقل إلى البيدر ليتم تجهيزها، فتستعمل العرانيس التي استخرج منها حبها مكانس لأفران الخبز، ولم يكن لها بديل في متناول اليد، فضرورة الذرة ليس لأنها طعاما للماشية فقط، أو أنها في أيام المحل يعمل منها خبز يسمى كراديش، يأكلها الناس،بل لضرورة عمل مكانس الأفران أيضا"[15].

ولا تغفل الرواية الإشارة إلى نظام العمارة الذي تبنى على أساسه البيوت الريفية وتصمم، فتبنى غرف متلاصقة خاصة لأهل البيت، وأماكن لتخزين الحبوب، وثالثة لتربية الحيوانات، كما يخصص مكان لمخلفات الحيوانات، إضافة إلى الفرن(الطابون)، كما تتم الإشارة المطبخ الأردني الذي يعتمد اعتمادا كاملا على ما تنتجه القرية من محاصيل أو ما يربيه أهلها من الحيوانات، والدواجن. ويتابع مثلا عن الخبز المصنوع من الذرة" وتفننت النساء بعمل الكراديش، حيث يوضع على وجهها زعتر، أو بندورة، أو بصل، أو خليط من كل ذلك، فكأن صناع "البيتزا" نقلوا هذه الوصفة عنهن، وهي تؤكل ساخنة واذا بردت فأنها تصبح جافة صلبة تسبب غصة في كل لقمة"[16].إضافة إلى عاداتهم في الزواج والتقاليد المتبعة في التحضيرات للعرس من طعام وحلقات دبكة وغناء[17].

رواية تغريبة قرية تؤرخ لإحداث حقيقية، وتعيد سردها وفق منظور خاص، وترصد التحولات الاجتماعية التي طرأت على المجتمع الأردني، عبر رواية يرويها راوي عليم ثم يتوارى إلى الخلف قليلا؛ كي يعطي في مرحلة لاحقة زمام السرد إلى بعض الشخصيات، مثل : عدنان كي يروي الأحداث من وجهة نظره، ويقدم معلومات كانت غائبة عن

---

(15) - المصدر نفسه، ص34.

(16) - المصدر نفسه، ص34.

(17) - لمزيد من التفاصيل حول ملامح القرية الأردنية في تغريبة قرية، انظر الصفحات الآتية من الرواية: ص34،37،38،42.

المتلقي؛ كون الراوي يروي ما عرفه من معلومات من زوجة عم عدنان عن حادثة الإخفاء والاختفاء، ثم التهريب فيما بعد. تفسح له المجال كي يروي عن الأيام التي قضاها بسجنه الاختياري. فكان ذهنه مشغولا بأسئلة كثيرة: ماذا حدث للقرية ؟ ومن اعتقل منها ؟ ومن وقع ضحية للتحقيقات، وأفشى سره؟، وماذا حدث لطلاب المدرسة؟ ثم يتوقف عند لحظات الخوف، والتردد، والقلق التي انتابته في مخبأه. ماذا سيحل به إن تمكن العسكر من القاء القبض عليه؛ مجرد الاختباء تهمة له، ولأهل البيت الذين تمكنوا من اخفائه، وهي مشاعر انسانية خالصة[18].

وكذا الأمر حين يفرد السارد حيزا ليروي لنا ما عرفه عن رحلة حسن من المدرسة، إلى المدرسة السجن، وإلى السجن الحقيقي، ثم الحكم عليه بالإعدام. وإذا كان المتلقي قد عرف من السارد بعض ملامح هذه الرحلة المحنة اذا جاز التعبير، إلا أن الصورة اكتملت حين أعطى السارد الرواية إلى حسن كي يروي بضمير المتكلم تجربته الذاتية بالاعتقال في المدرسة، والحكم عليه بالإعدام ؛مما عمق من جسور الثقة بين السارد والمتلقي. فرافق هذا الأخير شخصية حسن، وتفاعل معه لحظة بلحظة. لقد تحولت هذه الأحداث من تجربة فردية لفرد، أو عائلة، أو قرية إلى تجربة إنسانية، فقد تجاوزت الحدث الشخصي إلى الحدث العام، وترفعه إلى مصاف التجارب الإنسانية.

1-3 حضور المفارقة في الرواية

توقفت هذه الورقة عند المفارقة، وهي تقنية حاضرة في هذه الرواية، وقد وظفت بهدف إيصال رسالة ما، وربما التأكيد على مغزى، يتمثل ببساطة أبناء القرية في التعبيرعن رفضهم لما يحدث، وتوقهم للحرية، وقابليتهم العفوية للتضحية على الرغم من خضوعهم لنظام اجتماعي صارم حد الاستبداد[19]. وكان يمكن الاستفادة من هذا الاندفاع العفوي، وقابليتهم للتضحية؛ للانعتاق من الاستعمار، كما استفادت كثير من الدول العظمى التي بنت مجدا لأمتها[20].

يضاف إلى ما سبق فإن أهل القرية كانوا من حملة الأفكار، فلم يكونوا جواسيس لأحد، فحين فاز المرشح القومي لم تشهد القرية مماحكات ؛ فلا تشفي ولا امتعاض من الخاسر[21]، كما يحدث الآن بعد خسارة مرشح جهة، أو فئة، أو حزب، بعد اغتيال فترة تشكل الوعي، ووأدها في مهدها. فحل الخراب، والفشل، والتردي الذي يفضي إلى قتل الشخصية التي تحاول النهوض والتحرر، وقتل الطموح فيها، وتحويل المجتمع إلى جماعات متناحرة، وتكريس الأنانية الفردية، وتشجيع زعامات وليدة متنافسة ؛ ليسهل السيطرة عليها.فكانت التيجة الحتمية لهذه السياسة الممنهجة أن

(18) - محمد نايل عبيدات، ص92-94.
(19)- المصدر نفسه، ص9.
(20) - المصدر نفسه ، ص8
(21) - المصدر نفسه ، ص39.

أبناء هذا الجيل يسخرون من تلك التضحيات التي بذلها الآباء في سبيل الأفكار التي آمنوا بها، ودافعوا عنها، ودفعوا ثمنا باهظا في سبيلها، ولم يكتفوا بالسخرية فقط، وإنما وصل بالبعض منهم إلى إنكار هذا التاريخ والتنكر له. أما القسم الآخر لا يعرف عن هذا التاريخ الذي همش، وطمس من التاريخ الرسمي[22]؛ لأن همهم الأكبرهو تلبية الحاجات الأساسية .

2-3 المفارقة اصطلاحا

والمفارقة تقنية أو استرايجية يوظفها الكاتب لبناء نص يبتعد عن المباشرة، ويخفي بداخله دلالات متعددة، وتتطلب قراءة عميقة للوصول إلى ما يخفيه النص، والوصول إلى العمق. ويلجأ الكاتب إلى المفارقة لكشف الزيف؛ بهدف الإصلاح والسخرية في عصر يسوده القمع والقهر السياسي، وتهميش الانسان[23]. فهي طريقة لخداع الرقابة ومراوغتها، سيما أنها تستخدم على السطح قول النظام السائد نفسه، بيد أنها تحمل في طياتها قولا مغايرا له[24]. وهي ذرة الملح الذي يجعل الطبق شهيا [25]. أوردت المعاجم وكتب المصطلحات تعريفات متعددة[26] للمفارقة، منها ما ورد في معجم أكسفورد المختصر Concise Oxford Dictionary: "إما أن يعبر المرء عن معناه بلغة توحي بما يناقض هذا المعنى أو يخالفه،ولاسيما بأن يتظاهر المرء بتبني وجهة نظر الآخر، إذ يستخدم لهجة تدل على المدح، ولكن بقصد السخرية، أو التهكم؛ وإما هي حدوث حدث أو ظرف مرغوب فيه، ولكن في وقت غير مناسب البتة، كما لو كان في حدوثه في ذلك الوقت سخرية من فكرة ملاءمة الأشياء، وإما هي استعمال اللغة بطريقة تحمل معنى باطنا موجها لجمهور خاص مميز، ومعنى آخر ظاهرا موجها للأشخاص المخاطبين أو المعنيين بالقول "[27].

وقد تعني المفارقة: "شكل من أشكال القول، يساق فيه معنى في حين يقصد فيه معنى آخر، غالبا ما يكون مخالفا للمعنى السطحي[28]. ويمكن أن يقصد بها "قول شيء والإيحاء بقول نقيضه[29]. وهي " طريقة ناعمة هادئة

---

[22] - لمزيد من التفاصيل انظر: الصفحات الآنية من الرواية ص130،132،134133.
[23] - سيزا قاسم، المفارقة في القص العربي المعاصر، مجلة فصول /مج2/ع2/1982، ص144.
[24] - المصدر نفسه، مجلة فصول مج2/ع2/1982، ص143.
[25] - نبيلة إبراهيم، فن القص، في النظرية والتطبيق، مكتبة غريب،د.ت،ص196.
[26] - لمزيد من التفاصيل انظر: د.سي.ميويك، المفارقة وصفاتها، ترجمة، عبدالواحد لؤلؤة، دار المأمون للترجمة والتشر: بغداد،1987،ط2.ص19. الذي أشار إلى صعوبة تحديد صعوبة التتبع التاريخي لتعريف المفارقة.
[27] - D.J.Enright:The Alluring Problem,Oxford Universtiy Press,1986,P.5.5 نقلا عن خالد سليمان،المفارقة والأدب، دراسات في النظرية والتطبيق، دار الشروق،1999،14.
[28] - سيزا قاسم، المفارقة في القص العربي المعاصر، مجلة فصول، مج2/ع2/1982،ص134.
[29] - المفارقة والأدب، خالد سليمان،مرجع سابق،ص16.

لخداع الآخرين "[30]، وأخيرا قد تأتي بمعنى: "المغايرة التي تقوم على الحط من الذات بمعنى أعلى من نقيضتها... أو المغايرة التي تقوم على الإدعاء؛ فالتواضع، حتى عندما يكون تظاهرا، يدل على حسن تربية أكثرمن التفاخر"[31].

3-3 المفارقة في تغريبة قرية

لقد وظف محمد نايل عبيدات المفارقة في رواية تغريبة قرية توظيفا يلائم التجربة الروائية، ويخدم الرسالة التي أراد أن تصل للمتلقي، فهو يدين الحاضر، ويلتفت إلى الماضي القريب الماضي ليثبت هذه الإدانة، هذا الماضي الذي شهد بطولات وتضحيات لأجل المبدأ والثبات عليه، فلا خيانة، ولا مؤامرة، ولا متاجرة بالمواقف؛ لتتخذ منه الأجيال القادمة مثالا يحتذى، أوعلى الأقل الحفاظ على هذا الماضي بذاكرة الأجيال، وعدم تهميشه.

3-4 نماذج من المفارقات في الرواية

المفارقة الأولى:

المشهد الذي رسمته الرواية، وفيه إدانة لممارسات السلطة ضد القرية سنة الطوق، والذي يؤشر على خلل ما في العلاقة بين المواطن والسلطة "عسكري ينتصب واقفا أمام الباب،يلبس خوذته ويشهر سلاحه وكأنه متأهب للحرب"[32]. وفي سياق آخر "أن الطوق البشري مكون من عسكر يفترض أنهم أعدوا للحرب"[33]. إذ يفترض أن المكان الطبيعي لهذا العسكري الذي يلبس ملابس الحرب وتسلح باسلحتها، وتظهر عليه ملامح التأهب، والجاهزية، هو جبهة القتال؛ كي يحمي حدود الوطن ويدافع عن أبنائه، أوالثكنة للتدريب ليكون على أهبة الاستعداد، وليس احتلال القرية، ولا ترويع أهلها، ومعاقبتهم على معتقداتهم وأفكارهم.

المفارقة الثانية:

---

[30] - د.سي. ميوميك، موسوعة المصطلح النقدي،ت:عبدالواحد لؤلؤة، منشورات وزارة الثقافة والإعلام،1982، سلسلة الكتب المترجمة (122)،ص26.

[31] - المصدر نفسه ، ص27.

[32] - محمد نايل عبيدات، تغريبة قرية، ص14.

[33] - المصدر نفسه ، ص16.

واذا كانت المفارقة السابقة هي مشهد من الرواية، فإن المفارقة الثانية في الرواية فقد وردت على لسان عاطف الذي لم يضبطه أحد يتكلم بأكثر من رد السلام، لكن جسامة الأحداث أنطقته بالحق، وأخرجت ما في عقله الباطن. فالتعليم دخل القرية حين أحرقت المصالح الأمريكية، ومؤسساتها ومصالحها. فالمفارقة قائمة بين الحضور، والغياب، حضور مصالح أمريكا، وغياب التعليم والتنوير. حين حضرت المصالح الأمريكية في المنطقة، فإن التجهيل يصبح سياسة ممنهجة، وحين غابت المصالح الامريكية دخل التعليم والتنوير إلى المنطقة. يقول عاطف بمجلس ضم عدد من أبناء القرية "قرية الغربالة لم يكن بها مدرسة وكان أطفالها يمشون من قريتهم إلى قريتنا ليدرسوا ابتداء من الأول ابتدائي، فلماذا بنيت غربالة ولم تبن مدرسة، ألا ترون أنه عندما أحرقنا الغربالة، وبقي المبنى قائما، جاءت وزارة المعارف وأسست مدرسة ابتدائية في القرية، وأراحت هؤلاء الصغار من مكابدة المشي في الحر، و القر. أرى أن أمريكا والتعليم لدينا لا يتفقان، فعندما أحرقت مؤسستها دخل التعليم إلى القرية.صحيح فالتجهيل سمة الاحتلال"[34].

المفارقة الثالثة:

هذه المفارقة تتجسد بحل البرلمان " فقد حل هذا المجلس بعد فترة وجيزة من انتخابه واعتقل عدد من أعضائه في المعتقل الصحراوي واجتمع القوميون، والإسلاميون المتنافسون انتخابيا تحت سقف معتقل واحد بدل البرلمان الواحد"[35]. فبعد سلوك أهل القرية الحضاري الذي أعقب فوز القوميين بمقعد بالبرلمان فلم تظهرردة فعل عنيفة من الإسلاميين، فلا تخريب للممتلكات العامة، ولا احتجاجات، بل قبول بما اختاره الناس عن طيب خاطر، وبحرية تامة، الا أن ردة فعل السلطة كانت مغايرة، لا بل كانت تحتفظ برأي آخر. فكانت ردة فعلها أن جمعت القوميين والإسلاميين في مكان واحد— المعتقل الصحراوي- على الرغم من اختلافهم عقائديا، فلم توفر لهم مناخا ملائما لتبادل الآراء، والأفكار، ومناقشة ما يهم الوطن، بل سارعت إلى توفير معتقل للجميع.

المفارقة الرابعة:

تتمثل بانتظار أهل القرية ماذا سيقوله أحمد سعيد في إذاعة صوت العرب بعد صدور الأحكام بالإعدام، أو السجن المؤبد على أبناء القرية، واستمعوا لها علانية، فلم يبق شيء يخافون عليه. والمفارقة أن صوت العرب سجلت نصرا ما بعده نصر، دون أن ترسل لهم رغيفا واحدا من الخبز، فوجدت فيهم وقودا لمعركتها- وهم مستعدون فطريا

[34] - المصدر نفسه ، ص24.
[35] - المصدر نفسه ، ص39.

للتضحية– فوقعوا في الفخ وحدهم الذي نصب لهم من العسكر. وبقيت الإذاعة تحارب عن بعد، فالحرب بالإذاعة عن بعد صار عادة عربية في مواجهة العدو كما في حرب الأيام الستة[36].

المفارقة الخامسة:

ولعلها من أهم المفارقات التي حاولت الرواية من خلالها إيصال رسالة، تبين وجهة نظرالكاتب تجاه ما يحدث الآن، من تغير سريع يظهر تبدل الأحوال وترديها، وتغير القيم، وتهاوي الأخلاق، وهي — إن لم أبالغ – المفارقة التي بنى روايته عليها. فقد ظلت القرية تباهي بأنها لم ترضخ لأحد، وأنها نجت من العيب الأكبر، فلم يكشفوا سرا لحزبي، ولا قدموا معلومات عن مطلوب، على الرغم من اختلاف الانتماءات العقائدية. إلا أن تعيين حابس، وهو من خارج القرية إماما للمسجد بدلا من إمام القرية– الذي ورث مهامه الجليلة عن والده مؤذنا وخادما للمسجد وإمام صلاة وخطيب جمعة بلا مقابل– قد دفع بأهل القرية إلى إعادة النظر بهذا التباهي.

حابس له دور يخالف دوره المفترض من حيث الالتزام بمهمته خطيبا وإماما، فقد تجاوز هذا حين عمد إلى تتبع أخبار الناس، والتصنت على أحاديثهم، لا بل فقد كان يسرق من محاصيلهم، وكانوا يتظاهرون بتصديقه، وحين ضبطه أحد ابناء القرية —عزيز– بجانب كومة القمح يملأ كيسا من القمح لا يكاد يقدر على حمله، وسأله عن سبب وجوده في هذا الوقت من الليل قال: أريد معرفة جودة المحصول. فلم يتوقعوا من هو في مكانه من التدين، والوقار أن يقوم بما قام به من سرقة، لا بل لم يكن يراعي دوره الذي يفترض فيه الوقار، والتدين، فكان يتقن الدبكة، والعزف على المجوز. وأدخلت بناته ثقافة الرقص بعد أن كانت بنات القرية لا يعرفن إلا الدبكة. فكما أن كليب لم يتوقع كليب أو يصدق أن يغدر به جساس، ويطعنه من خلف فكذلك أبناء القرية، إلا أن ابنته زهرة العوراء صارت تفاخر بأنها تستطيع هي ووالدها حابس أن تسجن أي واحد من القرية. لقد حدث هذا مرارا، وتعرض البعض للتحقيق، والإهانة بسبب ما كانا ينقلانه من أخبار[37].

المفارقة السادسة:

يضاف إلى المفارقة السابقة المهمة، هذه المفارقة وهي من المفارقات التي أرادت الرواية التأكيد عليها. وهي أن هذه الأحداث على الرغم من جسامتها، وعلى الرغم من تأثيرها المباشر على مصائر كثير من أبناء القرية، وما حولها

---

[36] - المصدر نفسه ، ص75.

[37] - لمزيد من التفاصيل حول دور حابس الأمام الجديد للقرية وبناته في اعتقال ابناء هذه القرية والتحقيق معهم.انظر الصفحات الأتية الرواية :ص35،43،44،64.

من قرى، وعلى الأردن كافة، ألا أن الجيل الجديد لا يذكرها. لا يذكرها بعد سلسلة من التغييب والتهميش، والاتهام، والتخوين فلم تدون بكتب التاريخ، ولا بإشارة صغيرة تغري باحثا بكتابة أطروحة حول ما حدث.[38]

يضاف إلى ما سبق فإن كثير من أبناء هذا الجيل يتنكرون لتلك التضحيات، بعد أن نجحت السلطة بتغيير نظرتهم إلى الناس، فصار شلّاح الذي كان يرشد العسكر على أبناء القرية؛ لاعتقالهم الحاج شلاح تبجيلا له، ولبس لباس الشيوخ، وتصدر المجالس خاصة أنه يتوسط لأناس كثر لدى الجهات الرسمية[39].

المفارقة السابعة :

التي تتحدث عن حادثة اعتقال عاطف الذي كان يحمل بارودة، فظن العسكري أن عاطف يريد اطلاق النار عليه، فضربه بكعب البندقية فشجت رأسه، وسال دمه بغزارة، هذه الضربة أنقذته من التعذيب والضرب اللاحقين، ولم يكن جسده يحتمل التعذيب، فقد كان نحيلا جدا، لدرجة أن يده كانت أصغر بكثير من قياس القيد الحديدي، فملصت يده من القيد، والمفارقة أنه نادى على العسكري ببراءة، وسذاجة هذه تملص من يدي. ولامه عزيز زميله بالقيد إذ لو لم يذكر العسكري لارتاحا من عذابه ريثما يصلون السجن[40].

المفارقة الثامنة:

انقراض زراعة الذرة من قرية كفرسوم في سنة الأحداث، فكانت هذه الأخيرة آخر عهد القرية بهذه الزراعة؛ فلم تقطف الذرة تلك السنة لعدم وجود قاطفين، الذين توزعوا بين التشرد، والسجن[41].

وعلى الرغم من الصورة القاتمة التي قدمت للعسكر ألا أن الرواية أشارت في بعض المواطن إلى جانب إنساني، فهم ليسوا أدوات للتعذيب والترويع حسب، بل ظهرت أنسنة هؤلاء حين تغاضوا عن هروب عدنان، صحيح أنهم لا يعرفونه الا بالاسم، إلا أنهم تساهلوا مع المدرسة خولة ومع صديقاتها اللواتي جئن لزيارة أم عبدالله التي أخفت عدنان،

(38) - محمد نايل عبيدات، تغريبة قرية،ص136.
(39) - المصدر نفسه ، ص130.
(40) - المصدر نفسه ، ص53-54.
(41) - المصدر نفسه ، ص54.

فحففوا من الحراسة المشدة بعيد المغرب مما سمح له بالهرب إلى الوادي ومن الوادي إلى سوريا[42]. وحين أصبحوا بعد مدة من الغقامة بالقرية أصدقاء لبعض الأطفال.

3-5 المفارقة الدرامية

تستدعي المفارقة الدرامية(43) التي أشار إليها D.H.Green استحضار ثلاثة عوامل:

أ. شخصية تتسم بالغفلة مقابل أخرى أقوى منها.

ب. وضع محكوم بالتوتر فتكون الشخصية الأولى جاهلة بحقيقة الظروف التي تحيط بها (تناقض بين مظاهر الأشياء وحقيقته).

ج. المشاهدون الذين يشاركون في صنع الأحداث على وعي تام بالوضع الحقيقي للشخصية الغافلة التي تجهل حقيقة ما يجري.

3-6 نماذج من المفارقة الدرامية في الرواية

المفارقة الأولى :

المشهد الذي يصورعبدالله وهو يشعل النار للعسكر، مع أنهم لم يشفقوا عليها في البداية حين طلبوا منه اشعال الحطب خارج البيت دون كاز، والحطب رطب، وقد تبلل من المطر والجليد. والجو شديد البرودة حد الانجماد، ومن المستحيل اشعال النار دون الاستعانة بمادة نفطية. ثم أحضر لهم إبريقا من الشاي، وهو يعلم أنه مطلوب، وهم له منكرون، ولحسن الحظ فإن صورته غير موجودة لديهم، فالمتلقي وعبدالله على وعي بما يحدث، في حين العسكر لا يعلمون بحقيقة ما يدور أمامهم، ويجهلون حقيقة ما يجري. ربما يخالط المتلقي بعض الشك، لكنه حين يربط هذا المشهد بالأسطر التالية يقطع الشك باليقين. وينتهي المشهد بتسلل عبدالله إلى الوادي؛ ليفلت من الاعتقال[44].

المفارقة الثانية :

---

(42) - المصدر نفسه ، ص100-101.

(43) - لمزيد من التفاصيل عن المفارقة الدرامية انظر : خالد سليمان، المفارقة والأدب،مرجع سابق، ص30، و د.سي.ميوميك،المفارقة، مرجع سابق،ص104.ونبيلة إبراهيم، فن القص بين النظرية والتطبيق، مكتبة غريب،د.ت،ص201-202.

(44) - محمد نايل عبيدات، تغريبة قرية، ص14-15.

لعل من أشهر الشخصيات التي جسدت المفارقة الدرامية شخصية علي[45] معلم المدرسة، الذي لم يكن حزبيا في يوم من الأيام، واعتقل بتهمة انتمائه القومي، وحين أدخل السيارة وجد نفسه مع أناس لا يعرفهم، سألهم: لماذا أنتم هنا؟، ولماذا أنا هنا؟، فكان الجواب: نحن القوميين المعتقلين فكانت ردة فعله: وأنا ما علاقتي بالأمر؟ لأنك قومي مثلنا أجابوه. فكان جوابه بكل بساطة، ولكني لا أعرفكم. استغرب علي هذا الموقف فسأل الضابط: حقا أنا قومي يا بيك؟. فكانت عبارته على بساطتها "حقا أنا قومي يا بيك". تجسد نقاء هؤلاء الناس وبساطتهم، لا بل الأقرب إلى الفطرة، والصدق بالتضحية.وفي الوقت ذاته تشير إلى التعسف في الاعتقال، وفي معاملة أبناء القرية، والاتهام الجماعي لها لمجرد الانتماء إليها.

المفارقة الثالثة :

وإذا كان الاستهجان والاستغراب ردة فعل المعلم على اعتقال علي بسبب الانتماء القومي. فإن ردة فعل العسكري، والضابط – فيما بعد– التي اتخذت أسلوب الذم الذي يصل حد الشتيمة؛ شتيمة الحكومة التي تعتقل طفلا –عيسى– لم يكمل الخامسة عشرة ووزنه لم يتعد 35كغم وطوله 140سم. حين قال :"بئست حكومة تبحث عن أمثالك"[46]. أهذا هو المطلوب على وجه السرعة؟ أهو جدير بهذه الدورية التي أرسلت لإحضاره؟! وإمعانا بالمفارقة فقد حكم عليه بالإعدام بعد أن حصل على شهادة تقدير العمر، الذي يسمح باعدامه؛ وبهذا فقد افتتحت الحكومة عهدا باستحداث الوثيقة التي تستخدم مرة واحدة ثم يرمى فلم يعثر لها على أثر لاحقا[47]. وفيما بعد أدعت دائرة النفوس أن هؤلاء غير مسجلين، ولابد من استخراج وثائق جديدة لهم.

وبعد؛ فإن الرواية تروي ما حدث في الماضي من وجهة نظر الضحية التي ذاقت مر العذاب، التي تطلعت ذات يوم إلى الحرية، وإلى إبداء رأيها تجاه ما يحدث، وفي الوقت نفسه لا يغيب عنها الحاضر، فلم يتحقق شيء من طموحاتها السابقة أو أحلامها بالتغيير. هذا الحاضر غاب عنه الرغبة بتغيير الواقع، وظهر فيه التمسك بمكتسبات فردية، وبمصالح ضيقة لفئة محدودة بالمجتمع، فكثرت الزعامات وزاد التناحر، نتيجة تقريب البعض وتهميش البعض الآخر؛ مما زاد من عداوة أبناء المجتمع تجاه بعضهم بعضا.وأصبح الصراع يحكم علاقة كثير ممن يدعون أنهم قادة المجتمع.

---

(45) - المصدر نفسه، ص65-66.
(46) - المصدر نفسه، ص117- 118.
(47) - المصدر نفسه ، ص119.

الخاتمة

بعد الطواف في البحث فقد خلصت الورقة إلى النتائج الآتية:

1- رواية تغريبة قرية تناولت موضوعا مسكوتا عنه،أغفله التاريخ الرسمي للمملكة الأردنية الهاشمية، وتناولت بعض الروايات جانبا محددا منه،وهو السجن الصحراوي،وهو من تداعيات سنة "الأحداث" الذي كان مصير القوميين ممن طالب بالانضمام لدولة الوحدة- سوريا ومصر- إلا أن المتلقي لا يجد حضورا **لهذه الأحداث بالذات في** الرواية الأردنية عامة أو ما يوازي أهميتها.

2- اختارت الرواية المفارقة ووظفتها عن وعي تام،كما ظهر في متن الورقة، لما لهذا التوظيف من أهمية في البناء أولا، وفي الرسالة التي أراد الكاتب أن تصله لمتلقيه ثانيا.

3- إدانة ما حدث، وإدانة ما يحدث الآن.

4- ترسيخ هذه الأحداث في أذهان الناشئة والجيل الجديد.

5- وجد الكاتب ضالتها في المفارقة التي أظهرت الكثير مما أخفاه الضحايا، سيما أن الرواية تتبنى وجهة نظر الضحية وتروي الأحداث من منظارها،تلك الضحية التي كانت تمتلك وعيا سياسيا، ورغبة بالتغير، لكن هذه الآمال تحطمت.

6- الماضي –الحدث- حاضر في الرواية، والحاضر-الحدث- غائب عنها، لكن تداعيات الماضي تفرض سطوتها على الحاضر الذي هيمن عليه المكتسبات فردية، والمصالح ضيقة لثلة قليلة في المجتمع؛ فكثرت الزعامات،وزاد الصراع على الفتات، نتيجة تقريب البعض وتهميش البعض الآخر؛ مما زاد من عداوة أبناء المجتمع تجاه بعضهم بعضا.

المصادر والمراجع

1- تغريبة قرية، محمد نايل عبيدات ، دار ورد :عمان، الأردن، الطبعة الأولى ، 2011.

2- فن القص (في النظرية والتطبيق) ، نبيلة إبراهيم ، مكتبة غريب ،د.ت.

3- المفارقة في القص العربي المعاصر، سيزا قاسم ،مجلة فصول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب /المجلد الثاني / العدد الثاني /1982.

4- المفارقة والأدب (دراسات في النظرية والتطبيق) ، خالد سليمان ، دار الشروق : عمان، الأردن، الطبعة الأولى ، 1999.

5- المفارقة وصفاتها، د. سي .ميوميك ، ترجمة: عبدالواحد لؤلؤة ، دار المأمون للترجمة والنشر: بغداد ، الطبعة الثانية ، 1987.

6- موسوعة المصطلح النقدي،ترجمة :عبدالواحد لؤلؤة، منشورات وزارة الثقافة والإعلام،بغداد ، 1982، سلسلة الكتب المترجمة، رقم (122).